كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، خلال مأدبة الغداء التي أُقيمَت تكريمًا للأب ميشال شوير Michel Scheuer اليسوعيّ، بمناسبة انتهاء مهامّه في الجامعة في 2024/10/10.

عزيزي ميشال،

رغم أنّك ستبقى في بيروت، أردنا أن نلتقي حولك، لنقول لك "شكرًا" مع نهاية ما يقارب خمسة عشر عامًا من خدمتك لرسالة الجامعة التي أصبحت رسالتك منذ وصولك إلى بيروت في العام 2010.

وكما تلاحظ، ونلاحظ نحن أيضًا، من الصعب في بلدنا أن نتوقّع لحظات سلام أو خلوّ من الأزمات، لأنّ أيّام الأزمات والحروب وسنواتها أمست مسألة عاديّة عندنا، في حين تعتبرها بلدان وقارّات أخرى استثناءات.

صحيح أنّ ذلك يُكسبنا صلابة، لكنّه أيضًا يُفقدنا حسّ الدهشة، وحسّ نقيضه، أي خيبة الأمل. وربّما تكون الرغبة في البقاء هي ما يفرض هذا الموقف علينا.

أردنا تنظيم هذا الغداء الودّيّ، حتّى ولو أنّ دويّ الحرب يحيط بنا، والقنابل تحصد أبرياء وضحايا، لأنّ من المهمّ لنا أن نعبّر لك عن امتنان جماعة كاملة قدّرتك وما زالت تُقدّرك، لما كنتَه لها: عقلًا نيّرًا، وصديقًا، وشخصًا موثوقًا به، وسندًا.

نشكرك على اهتمامك، ولطفك، وأبوابك المفتوحة، وحسّك الكبير في الإصغاء، خصوصًا للمنسيّين والمهمّشين. فعندما غادرت جامعة "نامور" Unamur عام 2009، كنت قد أشدتَ بالضعف البشريّ الذي علينا أن نحمله ونحتمله، وها نحن نرى كم طبّقت هذا الفعل ولا تزال تطبّقه حتّى اليوم.

نشكرك لأنّك أمامنا، حين كنّا نحن غارقين في تفاصيل الحياة اليوميّة المتأزّمة في بلادنا، لم تتردّد في قولك (وأقتبس منك): "إنّ الحياة الدينيّة الفاعلة يجب أن تكون على الحدود، حيث تتعرّض شرائح كبيرة من المجتمع للضعف والوهن من دون أن تلقى رعاية جماعيّة. وليس من قبيل المصادفة أنّ الرعاية التلطيفيّة وُلدت منذ عشرين عامًا في سياق الحياة الرهبانيّة"، وقد نجحتَ بالفعل في إدخالها إلى مستشفى "أوتيل ديو"، من خلال تأمين التمويل اللازم لها وليس من قبيل المصادفة أيضًا (وأقتبس مجدّدًا): "أن يكون العالم الرهبانيّ حاضرًا اليوم في قضايا اللاجئين".

نشكرك لأنّك كنت تناضل دائمًا من أجل ترجمة أفكارك إلى واقع، حتّى وإن تطلّب ذلك كسرًا لروتينٍ ما أو مواجهة مقاومةٍ ما،

نشكرك على روحك النقديّة، التي كانت لاذعة أحيانًا ولكنّها صادقة، وعلى فضولك، وعلى التزامك الثابت والمخلص في خدمة الجامعة،

أعبّر لك عن امتناني، وامتنان آلاف الأشخاص الذين استفادوا من قيادتك العقلانيّة والإنسانيّة لمركز الأخلاقيّات على مدى 14 عامًا، ومركز الأخلاقيّات الذي أسّسه الراحل الأب جان دوكريه Jean Ducruet اليسوعيّ، وأعدته أنت ليكون في خدمة الجديّة الفكريّة، والأخلاقيّات، والمبادئ، سواء في الجامعة، من خلال التدقيق الدقيق في ملفّات رسائل الماستر وأطاريح الدكتوراه، أو في المستشفى من خلال سكرتارية لجنة الأخلاقيّات التي أدرتها بروحٍ من الجدل الأخلاقيّ التطبيقيّ، وبإنسانيّة واهتمام بحماية الإنسان.

عزيزي ميشال، إنّ الهدية الحقيقيّة التي نُقدّمها لك هي حفظ الذكريات الجميلة والقيم الإنسانيّة التي تركتها بين أيدينا. لكنّك تُنهي عملك في الجامعة في سنة رمزيّة، هي سنة الاحتفال بمرور 150 عامًا على تأسيس جامعة القدّيس يوسف. ولهذا السبب، فإنّ لفتتنا هي تقديم ميداليّة الـ150 عامًا الخاصّة بجامعتك، أمّا في ما يتعلّق بالضعف البشريّ، فما أجمل أن نقدّم لك أيقونة القدّيس يوسف وهو يحمل الطفل يسوع، رمز الضعف الإنسانيّ الذي اعتنى به بكلّ حنانٍ ولطف! فأنت تُشبهه!

أنا أعلم أنّ دربك، كرحّالٍ ماهر، لم تنتهِ بعد، لذلك، وباسم الجميع، أقول لك: نتمنّى لك صحّة جيّدة ودربًا جيّدة تسلكها!